الآداب الإسلاميّة في ديوان رياض الجنّة ونور الدُّجُنَّة للشّيخ الشّاعر عبد الرّحيم البرعي السّوداني

Islamic literature in the Diwan of Riyadh Paradise and the Light of Paradise by the poet Sheikh Abdul Rahim Al-Burai Al-Sudani

د. عمار عبد الرحمن إسماعيل أمبدة*

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة

السّودان

ammanb059@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/04/21 تاريخ القبول: 2023/05/28 النشر: 2023/05/31

ملخّص: تناولت هذه الدّراسة الآداب الإسلاميّة في ديوان رياض الجنّة ونور الدُّجُنَّة للشّيخ الشّاعر عبد الرّحيم البرعي السّوداني، وهدفت إلى معرفة مراتب الآداب الإسلاميّة. ومن ثمّ الوقوف على أنواعها المتمثّلة في: الأدب مع الله، والأدب مع الرّسول- صلى الله عليه وسلّم-، والأدب مع الخلق، والأدب مع النّفس. اتّبعت الدّراسة المنهج الوصفي الاستقرائي. وخلصت الدّراسة إلى عددٍ من النّتائج من حيث مجملها: تتفاوت مراتب الآداب بحسب المتأدّب معه، فليس الأدب مع الله كالأدب مع أنبيائه، وليس الأدب مع رسوله- صلى الله عليه وسلم- كالأدب مع سائر النّاس، وليس للتّعامل مع النّاس أدب واحد، بل للوالدين أدب خاص، وللتّعامل مع النّفس أدب. توصي الدّراسة بمزيدٍ من الدّراسات في الآداب الإسلاميّة في الشّعر السّوداني.

الكلمات المفتاحيّة: جنّة؛ إسلاميّة؛ دُجُنَّة؛ برعي؛ رياض.

Abstract; Abstract: This study dealt with Islamic literature in the Diwan of Riyadh Al-Jannah and Noor Al-Dajanah by the poet Sheikh Abdul Rahim Al-Burai Al-Sudani, and aimed to know the ranks of Islamic literature. And then stand on its types: literature with God, literature with the Prophet - may God's peace and blessings be upon him -, literature with creation, and literature with the soul. The study followed the descriptive inductive approach. The study concluded a number of results in terms of their totality; The ranks of etiquette vary according to the polite with him, so literature with God is not like literature with his prophets, and literature with his Messenger - may God's peace and blessings be upon him - is not literature with other people, and dealing with people is not one literature, but parents have special literature, and dealing with oneself is literature. The study recommends further studies in Islamic literature in Sudanese poetry.

Keywords: paradise, Islamic, djnah, burai, riyad.

* *ammanb059@gmail.com*

مقدّمة

الحمد لله الموفّق لكلّ خير، والحاثّ على كلّ بر، والدّال على كلّ فضل وإحسان، والصّلاة والسّلام على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ومن والاه- واهتدى بهداه- إلى يوم الدّين، وبعد:

الآداب الإسلاميّة هي مجموعة سلوكيات وأفعال وتصرّفات حميدة وردة في الشّريعة الإسلاميّة وتؤدي إلى احترام النّفس واحترام الآخرين في المجتمع. وهدف الإسلام في تشريعاته إلى خلق إنسان متوازن في جميع نواحيه النّفسيّة والرّوحيّة والماديّة، وقد خصّ جانب طمأنينة النّفس الإنسانيّة بقدر كبير من التّشريعات المتمثّلة في الأذكار المتعلّقة بجميع أنشطة المسلم وممارساته اليوميّة والحياتيّة؛ ذلك أنّ انشغال الفكر بالهموم الماديّة والمعنويّة، وتشتّت العقل تحت تأثير القلق من المستقبل ومن مختلف أحداث الحياة، كلّ هذه الوساوس والأفكار تعصف بالإنسان وتجعله تحت ضغط نفسي كبير يحدّ من نشاطه، ويقلّل من فعاليته في مواجهة مشكلاته.

لذا اهتمّ الإسلام بالإعداد النّفسي للإنسان بأن شرّع للمسلم جملة من الأذكار التّي تربطه بالله تعالى وتحقّق دافعاً معنويًّا ونفسيًّا للملتزم بها كما قال تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرّعد، 28). ولكلّ هذه الأسباب عني الرّسول- صلى الله عليه وسلم- بربط المسلم بالأذكار المتعلّقة بالآداب الشّخصيّة أو السّلوك الشّخصي للمسلم. وعندما يلتزم بهذه الأذكار ويعمل بكلّ التّوجيهات النّبويّة الواردة يجد في نفسه لذّة الطّاعة، وراحة النّفس إضافةً إلى الثّواب الجزيل من الله تعالى، وفوق ذلك كلّه قوّة الارتباط بالله تعالى.

ومن هنا تقوم الدّراسة على تحديد مفهوم الآداب الإسلاميّة التّي وردت في ديوان رياض الجنّة ونور الدُّجُنّة للشّيخ الشّاعر عبد الرّحيم البرعي السّوداني، وتناول المضامين من خلال المادة الشّعريّة التّي عبّرت عن هذا الموضوع، لذلك تلجأ الدّراسة إلى المنهج الوصفي الاستقرائي. واشتملت الدّراسة على خمسة عناوين، خصّص الأول منها للتّعريف بالشّاعر. والثّاني للحديث عن الأدب مع الله، وقد ضمّ (التّمسّك بكلمة التّوحيد، الالتزام بالصّلاة والحفاظ عليها في وقتها، الإكثار من الصّوم، المداومة على تلاوة القرآن الكريم، المداومة على الأذكار، الحثّ على الدّعاء، الأمر بالتّقوى والترغيب فيها).

أمّا العنوان الثّالث: فقد تناول الأدب مع الرّسول- صلى الله عليه وسلم- الذي ضمّ (التّأسي بأفعاله، التّمسّك بسنّته" أقواله"، الاهتداء بوصاياه، الإكثار من الصّلاة عليه). وتناول العنوان الرّابع: الأدب مع الخلق، ومنه: الأدب مع الوالدين، والأدب مع النّاس أجمعين. أمّا الأدب مع النّاس أجمعين مثل: (معاملة النّاس بالإحسان، التّواضع مع النّاس، التّحذير من الغيبة والنّميمة، قول الحقّ والصّدق، ردّ الحقوق والأمانات إلى أهلها، ترك الحسد والغضب والهجر، التّعاون مع الآخرين، العفو والتّسامح مع النّاس، زيارة المرضى والموتى، صلة الأرحام).

أمّا العنوان الخامس: فقد تناول الأدب مع النّفس، وقد ضمّ (التّعجيل بالتّوبة، مخالفة هوى النّفس ومحاسبتها، اختيار الصّحبة الصّالحة والابتعاد عن صاحب السّوء، حفظ اللّسان، الأكل بالحلال، الاستقامة، العيش بالقناعة، حفظ الوقت، عدم اليأس).

1. سيرة الشّيخ الشّاعر

1. 1. اسمه ونسبه:

هو الشّيخ عبد الرّحيم محمد وقيع الله، أمّا البرعي فهو لقبه الذي اشتهر به من خلال قصائده، ولقّب بالبرعي تيمّناً بالشّيخ عبد الرّحيم البرعي اليمني، الذي أصدر قصائد عديدة في مدح المصطفى- صلى الله عليه وسلّم-.

1. 2. مولده ونشأته:

ولد الشّيخ عبد الرّحيم محمد وقيع الله بقرية "الزّريبة" التّي تتّبع لولاية شمال كردفان بالسّودان، جنوب غرب الخرطوم على بعد نحو 300 كلم تقريباً. وكان ميلاده عام 1923م، من أب ينتمي إلى قبيلة الكواهلة القاطنة في ضواحي مدينة المناقل بولاية الجزيرة. وأمّه هي: الرّسالة عبد الرّحمن من قبيلة الجعليين بضواحي مدينة شندي بالولاية الشّماليّة. ونشأ في بيت ملأه التّصوف والتّقوى والصّلاح، وعاش في هذه البيئة المفعمة بحب الله تعالى، وعشق رسوله الكريم- صلى الله عليه وسلّم-. ونشأ في كنف والده الذي كان عالماً بارعاً، فجلس على يديه لدراسة العلم والتّصوّف. وبعد وفاة والده في عام 1944م، تولى الخلافة وعمره إحدى وعشرون عاماً، واجتهد في التّوسّع في الدّعوة، وبنى مسجداً ومكاتب لتحفيظ القرآن الكريم بـ "الزّريبة"، وبدأ طلاب القرآن يتوافدون عليه. (القرشي، 2003م، ص48)

1. 3.تعليمه:

قرأ القرآن على يد الشّيخ ميرغني عبد الله من أبناء قبيلة الجعليين، تحت إشراف والده الشّيخ محمد وقيع الله، كما قرأ على يد كبار علماء عصره. ثم تحولّ إلى دراسة العلوم الشّرعية على يد والده، الذي اهتمّ برعايته، فكان يأمره بقراءة المتون، ويستوقفه في كل كلمة تحتاج إلى شرح، حتّى استوعب مجمل العلوم الشّرعيّة، من التّفسير، والحديث، والسّيرة، والفقه، واللّغة العربيّة، وعلم الكلام... وغيرها من العلوم. ولم يقف الشّيخ البرعي عند ذلك؛ بل أضاف إلى معارفه ذخيرة كبيرة من العلوم الأخرى، وذلك بمداومته على أمهات الكتب التي كانت تأتيه من كبرى دور النّشر بالقاهرة وبيروت ودمشق.

1. 4. مؤلّفاته:

له عشرات الدّواوين في مدح رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ورجال التّصوّف، إضافةً إلى ما كتبه في الآداب الإسلاميّة والدّعوة إلى الله تعالى ومعالجة الظواهر الاجتماعيّة المختلفة. منها على سبيل المثال: (ديوان بهجة اللّيالي والأيام في مدح خير الأنام- ديوان رياض الجنّة ونور الدُّجُنّة-كتاب هداية المجيد في علوم الفقه والتّوحيد).

كما تزخر الوسائط الإعلاميّة المختلفة بكم وافر من قصائده ومحاضراته ودروسه وخطبه، منها: (قد أفلح المؤمنون– الذكر في حياتنا... إلخ)

1. 5. الأوسمة:

هناك عدد من الجهات الرّسميّة والمؤسّسات التي قامت بتكريم الشّيخ البرعي، فقد: (منحه الرئيس السّوداني وسام العلوم والآداب والفنون– منحه الرّئيس المصري نوط الامتياز– منحه الرّئيس اللّيبي بردة المديح النّبوي). كما منح درجة الدّكتوراه الفخريّة من عدد من الجامعات السّودانيّة، منها: جامعة أم درمان الإسلاميّة، والجزيرة، والنيلين، وكردفان. وحصل على شهادات تقديريّة من مختلف المؤسّسات والجهات التّعليميّة والتّنفيذيّة، وذلك من خلال مشاركاته في عدّة مؤتمرات دعويّة وعلميّة داخل وخارج السّودان.

1. 6. وفاته:

انتقل الشّيخ عبد الرّحيم البرعي إلى الرّفيق الأعلى يوم عاشوراء 1426هـ الموافق له 19/ 2/ 2005م. (البرعي، 2015م، ص233)

2. الآداب الإسلاميّة في ديوان رياض الجنّة ونور الدُّجُنّة

تتفاوت مراتب الآداب في ديوان رياض الجنّة ونور الدُّجُنّة بحسب المتأدّب معه، فليس الأدب مع الله كالأدب مع أنبيائه، وليس الأدب مع رسوله– صلى الله عليه وسلّم– كالأدب مع سائر النّاس، وليس للتّعامل مع النّاس أدب واحد، بل للوالدين أدب خاص. وكذلك للتّعامل مع النّفس آداب، وهي:

2. 1. الأدب مع الله عزّ وجل

فهو رأس الأمر وعوده، وأهمّ ما يقدّمه العبد في دنياه. قال ابن القيّم: (الأدب مع الله ثلاثة أنواع) هي:(صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصةٍ– صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره– صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه). والمقصود أنّ الأدب مع الله تعالى هو القيام بدينه، والتّأدّب بآدابه ظاهراً وباطناً، ولا يستقيم لأحدٍ قط الأدب مع الله إلّا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره، ونفسٌ مستعدّة قابلة متهيّئة لقبول الحقّ علماً وعملاً (ابن القيّم الجوزية، 1973م، ص386). ومن هنا نجد البرعي رفع شعار الأدب مع الله بقوله: (البرعي، 2015م، ص78)

من كان للرّحمن عبداً طائعاً فله يكون مُيسّراً ووكيلا
يحميه من إبليس في الدّنيا ولم يجعل له أبداً عليه سبيلا

والأدب مع الله عند البرعي له أوجه عديدة منها:

2. 1. 1. التّمسّك بكلمة التّوحيد:

التّوحيد لغةً: جعل الشيء واحد غير متعدّد (ابن منظور، 1993م، ص524). وفي اصطلاح المسلمين: هو الإيمان بأنّ الله واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له في ملكه وتدبيره، وأنّه وحده المستحق للعبادة فلا تصرف لغيره. ويعتبر التّوحيد عند المسلمين محمور العقيدة الإسلاميّة، بل محمور الدّين كلّه (فولي، 2014م، ص33).

وكلمة التّوحيد هي: (لا إله إلّا الله) فهي الرّكن الأول من أركان الإسلام، وقد اشتملت على نفي وإثبات، نفي الشّرك وإثبات التّوحيد لله عزّ وجل. ومن ثم فقد أشار البرعي إلى عظمة كلمة التّوحيد والتّمسك بها والمداومة على ذكرها من خلال قوله: (البرعي، 2015م، ص73)

اجْلُ الفؤاد بكلمة التّوحيد جوف اللّيالي وأنت جدُّ وحيد
طهّر لسانك وليكن رطباً بها من غير تقليلٍ ولا تحديد
وأدِمْ هداك بتوبةٍ جدّد لها في كلّ يومٍ في الزّمان جديد
بالصّمت ثم الاعتزاز عن الورى والصّبر والتّقوى مع التّجريد
والهج بها ما دمت حيًّا إنّها نعم الشّهادة وهي خير شهيد
من كان آخر قوله هي فاز في دار البقاء وكان جدّ سعيد
هي كلمة التّقوى وأفضل قولةٍ قد قالها خير الورى مع هود
هي حبل مولانا لمعتصم به والعروة الوثقى لكلّ مريد

وفي الأبيات يأمرنا بالتّمسّك بها والمداومة على ذكرها في كلّ يومٍ جديد من غير تقليلٍ ولا تحديد، فهي كلمة التّقوى (... وألزمهم كلمة التّقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها...) (الفتح، 26). وهي العروة الوثقى (فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) (البقرة، 256). وهي نعمة الشّهادة وخير شهيد لمن أراد الفوز بالدّار الآخرة. قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: (من كان آخر كلامه لا إله إلّا الله دخل الجنّة) (الألباني، 1999م، ص363).

2. 1. 2. الالتزام بالصّلاة والحفاظ عليها في وقتها:

الصّلاة في الإسلام هي الرّكن الثّاني من أركان الإسلام، وهي عمود الدّين من أقامها أقام الدّين، ومن هدمها هدم الدّين، ويقول النبي– صلى الله عليه وسلم– أيضاً: (العهد بيننا وبينهم الصّلاة فمن تركها قد كفر) (النسائي، 1999م، ص463). فعلى المسلم أن يستحضر في ذهنه ونفسه كلّ ما ورد من تشديد على تارك الصّلاة، وأن يستحضر فضل الصّلاة؛ ليكون في ذلك له العزم والإرادة على القيام بصلاته في وقتها. وقال البرعي عن منزلة الصّلاة وأهميتها والحفاظ عليها في وقتها: (البرعي، 2015م، ص78)

أقم الصّلاة لوقتها يا لاهي عنها فلا تكُ إن عقلت بساهي
وأمُر بها ما دُمت أهلك واستقم فبها ضمان الرّزق عند الله
إنّ الصّلاة عماد دين محمد وكذاك ركن بناء دين الله
فاصبر عليها إنّها لكبيرة إلّا لعبدٍ خاشع أوّاه
إنّ الصّلاة مع الجماعة سنّة يرجي قبولُ صلاتها الله
وصفوفها كصفوف أملاك السّما وبهم إله العالمين يباهي
هي عدة عند الشّدائد كلها حصن من البلوى وخطب داه

هي أفضل الأعمال عند مليكنا وغداً تُنجي من عذاب الله
بالله إن نادى المنادى مُحيعلاً فذروا البيوع وكلّ أمرٍ لاه
وأتوا الصّلاة فإنها خير لكم من إبلكم أغنامكم وشياه

وفي الأبيات أشار البرعي إلى إقامة الصّلاة في وقتها مع الجماعة، وأنها أفضل الأعمال عند الله سبحانه وتعالى، فهي عمود الدّين من أقامها أقام الدّين، ومن هدمها هدم الدّين، لهذا لا بد من الأمر بأدائها والالتزام بها في وقتها. ونجد البرعي في ذلك اقتبس من الآيات القرآنية والأحاديث النّبويّة الشّريفة التي تدّل على منزلة الصّلاة وأهميتها والحفاظ عليها في وقتها. كقوله تعالى عن إقامتها في وقتها: (... فأقيموا الصّلاة إن الصّلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا). (النّساء، 130) وقوله تعالى عن الأمر بها والصّبر عليها: (وأمر أهلك بالصّلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتّقوى). (طه، 132) وقوله تعالى عن الاستعانة بها: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين). (البقرة، 45) وقوله تعالى إذا نادى المنادي إليها: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصّلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (الجمعة، 9). وفي السّنة النّبويّة قوله- صلى الله عليه وسلم- عنها بأنّها عماد الدّين: (الصّلاة عماد الدين...) (العسقلاني، 1978م، ص290). وقوله- صلى الله عليه وسلم- عن فضل أدائها مع الجماعة: (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة) (البخاري، 2002م، ص645).

2. 1. 3. الإكثار من الصّوم:

الصّوم في الإسلام نوع من العبادات الهامة، وهو الرّكن الرّابع من أركان الإسلام، وأصل الصّوم (صوم)، يقال: صام صوماً وصياماً أيضاً، في اللغة مطلق الإمساك والكفّ عن الشّيء. (الجوهري، 1985م، ص401). والصّوم في الشّرع الإسلامي عبادة بمعنى: (الإمساك عن المفطرات على وجه مخصوص، وشروط مخصوصة من طلوع الفجر الثّاني إلى غروب الشّمس، بنيّة) (السّرخسي، 1970م، ص55). لهذا يدعو البرعي إلى الإكثار من الصّوم بقوله: (البرعي 2015م، ص111)

صم بالنهار وفي الدجى مشمرا لا تخش بردا في الشتاء وخريف
كالصّالحين الأولياء من أرشدوا للنّاس في نظم وفي تصنيف

وكذلك قوله عن مداومة الصّيام والقيام وتلاوة القرآن: (البرعي 2015م، 100)

صم النّهار وقم ليلاً بلا كسل في كلّ آنٍ بتسبيح وقرآن

فهو بذلك يحثّنا بالإكثار من الصّيام- خصوصاً- صيام التّطوع الذي يزيد الأجر والثّواب، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (من صام يوماً في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً) (البخاري، 2002م، ص2840).

2. 1. 4. المداومة على تلاوة القرآن الكريم:

للمسلم عهد مع القرآن الكريم ينبغي أن يكون؛ فيغترف من فيض هداه يوميًّا، فهو الطّاقة المتجدّدة، والعطاء والخير الذي لا ينضب، وقراءة القرآن الكريم من حسن برّ المسلم بكتاب ربّه، وتجديد عهده معه بشكل يومي، فلا يكون له هاجراً ولا لأحكامه معطّلاً، كما أن انتظام المسلم بتلاوة القرآن الكريم بشكل يومي، يترتب عليه آثار عظيمة النّفع على المسلم. قال البرعي على مداومة تلاوة القرآن الكريم في كلّ حين لمن أراد الانتفاع والتّقرّب به لله سبحانه وتعالى: (البرعي، 2015م، ص81)

وللقرآن فاتل كل حين إذا ما رمت كل الانتفاع
تقرب للإله به دوماً بشبر أو ذراع أو بباع

ومن سور القرآن الكريم التي حثّنا البرعي على فضلها والمداومة على تلاوتها- سورة الإخلاص- وذلك في قوله: (البرعي، 2015م، ص83)

طهر نهارك بسورة الإخلاص تلقى من الآفات خير خلاص
وبها تكون موحداً بل مخلصاً فسعادة الدّارين بالإخلاص
والزم تلاوتها بليل والضّحى ألفاً تقرّب كلّ شيء قاصي
وبها التّخلص من حقوق النّاس من تبعاتهم وبها نجاة العاصي
وتحول بين الطّائعين لربهم بوقاية التّقوى وبين معاصي
وحروفها كعقائد التّوحيد نهج الأشعري القطب وابن العاصي

فهي طهر من الذّنوب لمن داوم على تلاوتها بالنّهار واللّيل والضّحى، وبها يكون المسلم تقي غير عاصي موحداً لله تعالى، وبها التّخلص من شرور النّاس. وهي من أذكار النّبي- صلى الله عليه وسلم- الدّائمة، فكان يقرأها إذا آوى إلى فراشه، ويقرأها في صلاة الوتر، ويقرأها دبر كلّ صلاة مكتوبة. (ابن القيم، 1973م، ص811).

2. 1. 5. المداومة على الأذكار:

أمر الله تعالى عباده بذكره، وحثّهم على الذّكر ورغّبهم فيه، ورتّب عليه الثّواب العظيم، فقال تعالى: (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) (البقرة، 152). ومن هنا نجد البرعي يحثّنا على مداومة الذّكر بقوله: (البرعي، 2015م، ص78)

أذكر إلهك بكرةً وأصيلا واسجد له ليلاً يدوم طويلا
سبّح نهارك ما استطعت بحمده واشكره شكراً لا يزال جزيلا
أقم الصّلاة لذكره مستغفراً ومصلياً ومهللاً تهليلا
وابدأه بالقرآن واختمه به مستحضراً ومرتلاً ترتيلا
فاعبده بالإخلاص لا تشرك به شيئاً سواه واتّخذه وكيلا
فرياض جنّات الحضيرة ذُلّلت للذاكرين قطوفها تذليلا
تغشاهم نفحات رحمة ربهم وكذا السّكينة نُزّلت تنزيلا

فما أفضل الذّكر الذي يبدأ بتلاوة القرآن ويختتم به- خصوصاً- في صلاة اللّيل مع السّجود والاستغفار والتهليل، وفي النّهار مع التّسبيح والتّحميد والشّكر، فبالذّكر تعمّ الرّحمة وتنزل السّكينة وتذلّل ثمار الجنّة تسخيراً وتسهيلاً عظيماً، بحيث أنّ القاعد منهم والقائم والمضجع يستطيع أن يتناول هذه الثّمار اللّذيذة بدون جهد أو تعب. قال تعالى: (ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلا) (الإنسان، 14).

2. 1. 6. الحثّ على الدّعاء:

الدّعاء في الإسلام عبادة تقوم على سؤال العبد ربّه والطّلب منه، وهي عبادة من أفضل العبادات التّي يحبّها الله تعالى خاصةً له ولا يجوز أن يصرفها العبد إلى غيره. والحثّ على الدّعاء ورد في كثيرٍ من الآيات القرآنية والأحاديث النّبويّة، منها: قال تعالى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين). (غافر، 60) وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدّعاء) (ابن حبل، 2001م، ص360). ونجد البرعي يحثّنا على الدّعاء بقوله: (البرعي 2015م، ص114)

وادع الإله وأيقن بالإجابة لا تعجل وردّد بإلحاحٍ وترداد
فللدّعاء ساعة ترجى إجابتها طوبى لمبتهل للصبر معتاد

وفي هذه الأبيات أنّ المسلم يدعو الله تعالى ويلحّ عليه في دعائه مراراً وتكراراً مع الصّبر ومن غير عجل، ويتصيّد الأوقات التي يفضلّ فيها الدّعاء.

2. 1. 7. الأمر بالتّقوى والتّرغيب فيها:

التّقوى هي إمتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، واتّباع نهج رسوله- صلى الله عليه وسلم- وسيرته بالتزام ما فرضه الله واجتناب ما حرّم، وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى:(إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم). (الحجرات، 13) والنّبي- صلى الله عليه وسلم- قد أمر بالتقوى فعن أبي ذر- رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (اتّق الله حيثما كنت...) (ابن حنبل، 2001م، ص284). ورفع البرعي شعار التّقوى بقوله: (البرعي 2015م، ص87)

والبس من التّقوى لباساً ساتراً كل العُيوب لسوأتيك يواري

وفي هذا الشّعار اقتباس من قوله تعالى: (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التّقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذّكّرون) (الأعراف، 26). وعن التّقوى يقول البرعي: (البرعي 2015م، ص93)

تزود في الصّباح وفي المساء بتقوى الله لا عيش وماء
ولا يغررك في الدّنيا متاعٌ فإن مآل ذلك للفناء
تمسّك بالشريعة واتّخذها طريقاً للحقيقة باقْتِفَاء
ولا تقدم على الأشياء حتى وفيها تعلم الحكم السمائي
تدارك زلّةً عظمت بتوب وبالنّدم الشديد والبكاء

. فهو يأمرنا بأن نتزوّد من التّقوى بطاعة الله في الصّباح والمساء، بالتّوبة والنّدم الشّديد مع البكاء، وعدم الغرور بمتاع الدّنيا، والتّمسك بالشّريعة واتّخاذها طريقاً للحقيقة.

2. 2. الأدب مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

قال ابن القيم: (وأمّا الأدب مع الرّسول- صلى الله عليه وسلم- فالقرآن مملوء به، فرأس الأدب معه كمال التّسليم له، والانقياد لأمره، وتلقّي خبرِه بالقبول والتّصديق دون معارضته بالعقل أو الشّك، أو يقدّم عليه آراء الرّجال، فيوحده بالتّحكيم والتّسليم والانقياد والإذعان كما وحدّ الله تعالى بالعبادة والخضوع والذّل والإنابة والتّوكل) (ابن القيّم الجوزية، 1973م، ص390). ونجد البرعي رفع شعار الأدب مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالتّمسك بالكتاب وهديه، بقوله: (البرعي 2015م، ص81)

تمسّك بالكتاب وهدي طه على النّهج القويم بلا ابتداع

وكذلك قوله بسلك طريقه: (البرعي 2015م، ص104)

واسلك طريق المصطفى بزهادةٍ ومحبة كي تهتدي بهداه

وقال في نصٍّ آخر عن اتّباع أمره: (البرعي 2015م، ص75)

من حكّم المصطفى في أمره برضى ولم يجد حرجاً من حكمه الراسي

قد ذاق طعماً من الإيمان فاز به يرويه قوم عن الحبر ابن عباس

وقوله بالسعي في أدبه: (البرعي 2015م، ص88)

والسّعي في أدب لأحمد خاشعاً مستغفراً بسكينةٍ ووقار

وله بثاني اثنين أعظم إسوةٍ الصّبر يذكر إذ هما في الغار

والشّعار الذي رفعه البرعي في الأدب مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- اتّخذ عدّة اتّجاهات كالتّمسك بالكتاب وهديه، وسلك طريقه، واتّباع أمره، والسّعي في أدبه، وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على عظمته- صلى الله عليه وسلم- كيف لا وقد اصطفاه الله على بني آدم وهو خاتم الأنبياء والمرسلين أرسله ربه رحمة للعالمين ليخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور. ومن الاتّجاهات التّي ذكرها البرعي في الأدب مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- التّالي:

2. 2. 1. التّأسي بأفعاله:

إنّ واجبنا الاقتداء بسيرة النّبي- صلى الله عليه وسلم- وجعلها المثل الأعلى للإنسان الكامل في جميع جوانب الحياة، واتّباع النبي- صلى الله عليه وسلم- دليل على محبّة العبد ربّه، وسينال محبّة الله تعالى له، وفي هذا يقول تعالى: (قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (آل عمران، 31). ومن ثمّ نجد البرعي يحثّنا على التّأسي بأفعال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من خلال سيرته العطرة، يقول: (البرعي، 2015م، ص109)

وإليك يا ذا الفضل سيرة أحمد خير الأنام وخير من وطئ الثرى

قد كان يسعى كي يعود مريضه متفقداً أصحابه ومزاورا

ويعين خادمه كذاك حريمه حمل البضاعة بائعاً ثم اشترى
ويمير ناضحه ويحلب شاته ولخدمة الأضياف كان مباشرا
ويجيز مادحه ويكرم جاره ولقد يؤانس ضيفه بعد القرى
ويقم منزله ويكنس داره ويجيب دعوة من دعاه مبادرا
وعلى قراريط رعى أغنامهم للشّام في تلك التّجارة سافرا
وعلى الأذى أضحى بمكة صابرا ومع الدّليل إلى المدينة هاجرا
ودعى بموعظة لهم وبحكمة وجرى له من بعد لك ما جرى
من لم يكن متأسياً برسوله فاضرب به عرض الحوائط زاجرا

وفي الأبيات كان النّبي- صلى الله عليه وسلم- معاوداً لزيارة المرضى متفقّداً لأصحابه، ويعين خادمه وحريمه في قضاء حوائجهم، ويطعم إبله ويحلب شاته، ويكرم جاره، ويباشر في خدمة ضيفه ويؤانسه بعد القرى، ويشرف على أعمال منزله بنفسه، ومبادراً لمن قدّم إليه الدّعوة، وكان- صلى الله عليه وسلم- اشتغل بالرّعي والتّجارة، وضحّى صابراً على أذى مشركي مكّة في دعوته وموعظته لهم. كلّ هذا من لم يكن متأسياً بأفعاله- صلى الله عليه وسلم- يضرب به عرض الحائط.

2. 2. 2. التّمسّك بسنّته (أقواله):

السّنّة النّبويّة سفينة النّجاة وبر الأمان، حثّ النّبي- صلى الله عليه وسلم- التّمسّك بها وعدم التّفريط فيها فقال: (فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء المهديّين الرّاشدين تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنّواجذ وإيّاكم ومحدثات الأمور فإنّ كلّ محدثةٍ بدعة وكلّ بدعة ضلالة) (ابن حمدويّة، 1990م، ص176). قال البرعي في التّمسّك بسنّته- صلى الله عليه وسلم-:(البرعي 2015م، ص104)

شرع النّبي فلا نجاة سواهُ يا من يريد تعبّداً بهواه
وهو الكتاب وسنة الهادي الذي بالوحي سدد نطقه وخطاه
إذ قال رحم الله عبداً مثل ما سمع الحديث لغيره أداه
فخذ العلوم عن التّقي عن الذي حفظ الحديث بقلبه ووعاه

وهو يدعو إلى التّمسّك بالسّنّة النّبويّة التّي لا نجاة سواها ولا ينطق صاحبها عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى، ملتزماً بما ورد فيها من أحاديث نبويّة.

وعلى كلّ حال هناك مجموعة من الأحاديث النّبويّة التّي وردت في هذا البحث، والتّي أشار إليها البرعي للدّلالة على اتّباع سنّة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

2. 2. 3. الاهتداء بوصاياه:

ورد عن النّبي- صلى الله عليه وسلم- بعض الوصايا الجامعة المانعة عظيمة القدر والفائدة التّي لا غنى لمسلم عنها في حياته اليوميّة وأحواله العامة والخاصة. قال تعالى: (وما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا). (الحشر، 7) ومن وصاياه- صلى الله عليه وسلم- التّي ذكرها البرعي بقوله: (البرعي 2015م، 100)

قال الرّسول اغتنم خمساً كما وردت بنصّها قبل خمسٍ خذ بإذعان
أفني شبابك في الطّاعات مُنهمكاً قبل المشيب الذي يأتي بنقصان
وصحّة الجسم قبل السّقم مبتدراً بها فراغك قبل الشّغل في الآن
أيضاً حياتك قبل الموت مُنتهزاً غناك قبل حُلول الفقر يا فاني
لا خير في لذّة الدّنيا وإن عظُمت فالموت يهزمها حتماً بميدان

هنا يذكّرنا بوصيّة رسول- الله صلى الله عليه وسلم- التّي هي أعظم الوصايا، ويحضّنا أشدّ الحضّ، ويدعونا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة، ويخبرنا أن من فرّط في ذلك قد يأتي زمان يتمناه، وقد حيل بينه وبين ذلك، وعظمت حسراته حين لا تنفع الحسرات، وذلك من خلال حديثه- صلى الله عليه وسلم-: (اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) (البيهقي، 1988م، ص327).

2. 2. 4. الإكثار من الصّلاة عليه:

الصّلاة على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هي إحدى العبادات الواجبة على المسلمين وفقاً للآية القرآنيّة (إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما) (الأحزاب، 56). والمراد بها تعظيم نبي الإسلام من قبل المسلمين في الدّنيا بإعلاء ذكره، وإظهار مثوبته، وتشفيعه في أمّته، وسلامته من كلّ نقص، والدّعاء لمضاعفة أجره. وقال البرعي في الصّلاة على الرّسول- صلى الله عليه وسلم-:(البرعي 2015م، ص84)

أدم الصّلاة على الرّسول مُسلماً ومباركاً بعد السّلام معظماً
صلّ عليه بكرةً وعشيةً آناء ليلك مع نهارك دائما
في حال كونك طاهراً أو محدثاً أو تائباً عن زلةٍ أو ظالماً
أو كنت مضجعاً عليك بها تَفُزْ أو ماشياً أو قاعداً أو قائماً
أو كنت وحدك فاتّخذها صاحباً أو كنت في ملأ فواظب أينما
هي سلّم الخيرات والزّلفى لمن جعل الصّلاة لما يريده سلّما
يكفيك من صلّى عليه مرّةً صلى عليه الله عشراً تمّما

وفي الأبيات يوجّه البرعي الدّعوة بدوام الصّلاة على النّبي- صلى الله عليه وسلم- في آناء اللّيل والنّهار في كلّ وقت ولا سيّما بكرةً وعشيّةً، وفي جميع الأحوال التّي يكون عليها المسلم. والمكافأة قوله صلى الله عليه وسلم: (من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرا) (مسلم، 1996م، ص31).

2. 3. الأدب مع الخلق

قال ابن القيّم: (أمّا الأدب مع الخلق فهو معاملتهم بما يليق بهم على اختلاف مراتبهم، فلكلّ مرتبة أدب، والمراتب فيها آداب خاصّة، فمع الوالدين أدب خاص، ومع العالم أدب آخر، ومع السّلطان أدب يليق به ومع الضّيف أدب غير أدبه مع أهله...) (ابن القيّم الجوزية، 1973م، ص393). والأدب مع الخلق عند البرعي جاء على التّالي:

2. 3. 1. الأدب مع الوالدين:

إنّ الإحسان للوالدين التزام الآداب معهما، فهو خلق عظيم، بغيره تضطرب الحياة الاجتماعيّة، وبه يستقيم التّفاعل والتّواصل، وقد أمرنا الله تعالى به بعد التّوجه له بالعبادة، قال تعالى: (وقضى ربك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحسانا) (الإسراء، 23). وقال البرعي في أدب الوالدين: (البرعي 2015م، ص93)

ولا تنس حقوق الوالدين لقول الله في فصل القضاء
أن اشكر لي كذا ولوالديك إليَّ مصيركم يوم الجزاء
عقوق الوالدين أضرّ شيء ويورث شرّ أنواع البلاء
رضاؤهما رضاء الله حقاً وسخطهما منوطٌ بالشّقاء

وهو يذكّرنا بألّا نسى حقوق الوالدين لقوله تعالى فيهما: (وقضى ربك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحسانا إمّا يبلغنَّ عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لها أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً* واخفض لهما جناح الذّل من الرّحمة وقل رب ارحمهما كما ربّياني صغيراً). (الإسراء، 23-24)، وقوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتّى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنةً قال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التّي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه...) (الأحقاف، 15). وعقوق الوالدين يورث شرّ البلاء والشّقاء، فجعل الله تعالى رضاه من رضا الوالدين، وسخطه من سخطهما، فمن أرضاهما فقد أرضى الله تعالى، ومن أسخطهما فقد أسخط الله تعالى. قال رسول- صلى الله عليه وسلم-: (رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين) (ابن حبّان، 1988م، ص168).

وكذلك قوله: (البرعي 2015م، ص91)

وبالإحسان للأبوين فاخفض جناح الذّل واعطف كالطّيور

وقد شبّه العطف على الوالدين بعطف الطّيور على صغارها، فهي دائماً متفائلة، وفي الحياة مستمرة، تقاسي البرد فتهاجر، وتبحث عن مأوى الحب والحنان والعطف المفقود، وهي على أمل لقاء بيت السّعادة، وعش الحنان والمحبّة.

2. 3. 2.الأدب مع النّاس أجمعين:

الأدب مع النّاس أجمعين عند البرعي جاء في اتّجاهات عديدة منها:

2. 3. 2. 1.معاملة النّاس بالإحسان:

لا شكّ في أن حسن المعاملة واجب شرعي، يدلّ على ذلك قوله تعالى: (وقولوا للنّاس حسناً...). (البقرة، 83)، وربط رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بين إحسان معاملة النّاس ومحبّتهم بالإيمان، بل جعل الحب شرطاً للإيمان: (لن تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتّى تحابوا، ألّا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السّلام بينكم) (ابن حبّان، 1988م، ص472). وأشار البرعي إلى معاملة النّاس بالإحسان بقوله: (البرعي 2015م، ص72)

وعامل النّاس بالإحسان محتسباً عسى بذلك ربّ العرش يجزيكا
أفش السّلام ولن فيما تقول وصم وكل حلالاً وصل في دياجيكا

وهي معاملة تقوم على معاملة النّاس بالإحسان لوجه الله عزّ وجل، لا يرد صاحبها جزاءً ولا شكوراً م، فيعامل النّاس بالقول اللّين وإفشاء السّلام الذي هو من تعاليم دين الإسلام الحنيف، والذي يدعو إلى نشر المحبّة والألفة في المجتمع.

2. 3. 2. 2.التّواضع مع النّاس:

التّواضع هو إظهار التّنزّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه. وهو صفة محمودة تدلّ على طهارة النّفس وتدعو إلى المودّة والمحبّة والمساواة بين النّاس وينشر التّرابط بينهم ويمحو الحسد والبغض والكراهيّة من قلوب النّاس. وقال البرعي عن التّواضع (البرعي 2015م، ص78-79)

إنّ التّواضع أهله في رفعةٍ والكبر صاحبه يعيش ذليلا
فإذا علوت فكن أخاً متواضعاً للمسلمين وخادماً وزميلا
زر كلّ من آخاك في مولى الورى لحديث خير الأنبيا سِرْ مِيلا
لعيادة ميلين للإصلاح قُم وامش الثّلاثة كي تزور خليلا

وفي الأبيات يوصي بالتّواضع الذي هو احترام النّاس حسب مقاماتهم وعدم التّرفع والتّكبر عليهم، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (من تواضع لله رفعه) (ابن حبّان، 1988، ص491). ومن التّواضع إذا اعتلا الشخص مكاناً عالياً يسخّر هذا المكان في خدمة المسلمين، بحيث يكون صالحاً وخادماً وزميلاً وأخاً للكل في السّراء والضّراء.

2. 3. 2. 3.التّحذير من الغيبة والنّميمة:

الغيبة والنّميمة كبيرتان من كبائر الذّنوب، فالواجب الحذر من ذلك، يقول تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضاً). (الحجرات، 12) ويقول النبي- صلى الله عليه وسلم-: (ذكر أخاك بما يكره) (البيهقي، 1997م، ص300). والنّميمة كذلك من كبائر الذنوب، يقول تعالى: (ولا تطع كل حلّافٍ مهين* همّازٍ مشّاءٍ بنميم). (القلم، 10-11) ويقول- صلى الله عليه وسلم-: (لا يدخل الجنّة نمام) (البخاري، 2002م، ص338). والبرعي يحذّرنا أن نتجنّب الغيبة والنّميمة بقوله: (البرعي 2015م، ص86)

وتنجبن نميمة مع غيبة واحذر مقالا ليس بالمثبوت

وهو يحذّرنا من مجالسة هؤلاء الذين يغتابون النّاس، ويعملون بالنّميمة، وإذا جلست معهم؛ فأنكر عليهم ذلك، وحذرهم من مغبة ذلك، وأخبرهم أن هذا لا يجوز، وأنه منكر، فإن تركوا وإلا فقوم عنهم لا تجلس معهم، ولا تشاركهم في الغيبة، ولا في النّميمة.

ومثل ذلك قوله: (البرعي 2015م، ص27)

ولا تشاحن ولا تغتب أخاك ودع نميمة أفسدت إصلاح أهليكا

فالمشاحنة والغيبة والنّميمة هي من أسباب فساد إصلاح ذات البين، وداء عضال يفتّت الأسر والمجتمعات، ويزرع فيها عوامل الجريمة، وعن ديننا الإسلامي فهو دين المحبة والاجتماع، ولذلك دعا إلى جمع الكلمة والمحبة وإصلاح ذات البين والصّفح والتّغاضي عن الأخطاء.

2. 3. 2. 4.قول الحقّ والصّدق:

الصدق هو: قول الحقّ الذي يواطئ فيه اللسّان القلب. ولما كان الصّدق ضرورة من ضرورات المجتمع الإنساني، وفضيلة من فضائل السلوك البشري ذات النّفع العظيم، وكان الكذب عنصر إفساد كبير للمجتمعات الإنسانيّة، وسبب لهدم أبنيتها، وتقطيع روابطها وصلاتها، ورذيلة من رذائل السّلوك ذات الضّرر البالغ؛ أمر الإسلام بالصّدق ونهى عن الكذب. قال تعالى: (يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصّادقين) (التّوبة، 119). ومن ثمّ نجد البرعي يوصينا بقول الحقّ والصّدق، يقول: (البرعي 2015م، ص81)

وقل حقاً وصدقاً لا تماري ودع سبل التّحيل والخداع

وعدلك واجب بين اثنتين كما هو في ثلاث أو رباع

فهو يأمرنا بقول الحق والصّدق من غير تجادل وتناظر، وينهانا عن التّحيل في تصريف القول أو التّوسل بخدعةٍ ما إلى الغرض المقصود. وكذلك أمرنا بالعدل بين اثنين فما فوق.

2. 3. 2. 5. ردّ الحقوق والأمانات إلى أهلها:

حفظ الحقوق وردّها إلى أهلها أعظم ما يمكن للمرء القيام به، إذ هو نعمة لفاعله وجامع أنواع البرّ والخير. وأمور النّاس وحياتهم لا تستقيم إلّا بمعرفة الحقوق، فعندما فرّط النّاس في حفظ الحقوق وردّها لأهلها حدث ضمور للعلاقات، وزاد الكره بينهم والضّغينة في القلوب، غير القطيعة والهجر. لهذا علينا بالأمانة في أداء الحقوق فقد جعل النبي- صلى الله عليه وسلم- الأمانة دليلاً على إيمان المرء نفسه وحسن أخلاقه فقال: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له) (ابن حبّان، 1988م، ص423). ومن هنا نجد البرعي يقول عن ردّ الحقوق والأمانات إلى أهلها: (البرعي 2015م، ص96)

ولا تك صخّاباً غليظاً وجافياً ظلوماً جهولاً بالحقائق آثما

إلى أهلها أدّ الأمانة واجتنب خيانة أموالٍ وعرضٍ كلاهما

ترجى وخف مولاك ذا البطش إنّه بأفضاله يعفو ويمحو الجرائما

فعلى الإنسان أن يردّ الأمانة إلى أهلها، ويتجنّب خيانة الأموال والأعراض، وألّا يتعامل مع النّاس بغلظة وجفاء، ولا يظلم ويحرم أحداً من حقّه، وأن يخاف من بطش الله تعالى إذا فعل غير ذلك.

2. 3. 2. 6. ترك الحسد والغضب والهجر:

الحسد هو شعور عاطفي بتمني زوال قوّة أو إنجاز أو ملك أو ميزة من شخص آخر والحصول عليها أو يكتفي الحاسد بالرّغبة في زوالها من الآخرين. قال النّبي- صلى الله عليه وسلم-: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكنوا عباد الله إخوانا) (ابن حنبل، 2001م، ص159). وقال البرعي عن ترك الحسد: (البرعي 2015م، ص72)

ولا تكُنْ حاسداً شخصاً على نعمٍ سل الإله الذي أعطاه يعطيكا

فلا يحسد الإنسان أخاه في زوال نعمةٍ أعطاه الله أيّاها، بل عليه أن يسأل الله تعالى الذي أعطاه أن يعطيه مثله.

أمّا الغضب فهو انفعال؛ لهذا علينا بضبط النّفس عند الغضب- بمعنى السيطرة عليها والتّحكم فيها وعدم تركها تسيء للآخرين-. ومن هنا نجد البرعي ينهانا عن الغضب بقوله: (البرعي 2015م، ص107)

لا تغضبن ولا تعجل تنل رشداً واعمل برفقٍ وإتقانٍ على مهل

واصبر لربك إن القوم قد طعموا عواقب الصّبر كالتّفاح والعسل

وفي الطّريق أعراض لسالكها وخائض اليمّ لا يخلو من الوحل

فعلى الشّخص أن يتمكّن من السّيطرة على نفسه عند الغضب، فلا يعجل في أموره بل يعمل برفق وإتقان على مهل ويصبر على ذلك؛ لأن الصّبر هو أهمّ مقوّمات ضبط النّفس، وهو أهمّ صفة يمكن أن يمتلكها إنسان؛ لأنّه أكثر سلاح فعالية لمواجهة المواقف غير المتوقعة في الحياة.

أمّا الهجر- وهنا يقصد به هجر المسلم لأخيه المسلم- فقد حرّم على المسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليالٍ. ونجد البرعي ينهانا عن الهجر بقوله: (البرعي 2015م، ص96)

ولا تصاعر ولا تَهْجُرْ أخاك أبداً فوق الثّلاث وصالح من يعاديكا

وفي هذا البيت يذكّرنا بحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الذي يقول فيه: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسّلام). (البخاري، 2002م، ص80)

2. 3. 2. 7. التّعاون مع الآخرين:

الإعانة هي: الإتيان بكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها والامتناع عن كل خصلة من خصال الشّر المأمور بتركها فإنّ العبد مأمور بفعلها بنفسه وبمعاونة غيره عليها من إخوانه المسلمين بكل قول يبعث عليها وبكل فعل كذلك. قال تعالى: (وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (المائدة، 2). ونجد الرعي يحثّنا على التّعاون مع الآخرين بقوله: (البرعي 2015م، ص109)

ما حكّ ظهرك مثل ظفرك من ورا فتولّ أمرك لا تكله إلى الورى

إن لم تجد يوماً رسولاً عاقلاً فاذهب بنفسك لا تكن متحسّراً

فالسّعي في طلب المعاش مكفر ما لم يكفره الجهاد لمن درى
وابدأ بنفسك والعشيرة ثم من يكُ مسلماً في الأقربين مجاورا
طوبى لمن يسعى لخدمة مسلم فله بذلك حجة غير افترا

وفي الأبيات يسعى الشّخص لمعاونة نفسه فلا يتكل أمره لغيره إذا لم يجد من يعاونه، ومن ثمّ يسعى في خدمة العشيرة والجوار الأقربين من المسلمين. فقضاء حوائج النّاس عبادة من أعظم العبادات التّي تنفع الإنسان قبل أن تنفع غيره، فطوبى لمن سار في قضاء حوائج النّاس قضى الله عزّ وجلّ حوائجه. وذلك مصداقاً لقول رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) (ابن حبّا، 1988م، ص293).

2. 3. 2. 8. العفو والتّسامح مع النّاس:

العفو من مكارم الأخلاق السّامية، والعفو والتّسامح خُلقان كريمان تحتاجهما النّفس البشريّة لتتخلّص من كلّ الشّوائب التّي قد تعلق في القلب من أثر الأذى، وكذلك لينعم الأفراد بالخير والحب وانشراح الصدر، وهما يتحقّقان بطولِ صبر وكظمٍ للغيظ واحتساب الأجر. قال تعالى: (... والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يحبّ المحسنين) (آل عمران، 134). وقال البرعي عن العفو والتّسامح: (البرعي 2015م، 83)

سامح لوجه الله من يك مخطئاً عفواً بلا عوض وغير قصاص

فالعفو والتّسامح يكون لوجه الله تعالى من غير عوض وقصاص. وهنا يذكّرنا بقوله تعالى: (... فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحبّ الظّالمين). (الشّورى، 40)

ومثل ذلك قوله:(البرعي 2015م، ص81)

وأعرض عن مسيئك واعف عنه ومر بالخير من غير امتناع

ونختم قولنا حول الأدب مع النّاس في شعر البرعي ببيته الذي يقول فيه: (البرعي 2015م، ص91)

تفقّد من صحبت وعد مريضاً وصل رحماً وزر من القبور

فتفقّد الصّاحب ومعاودة زيارة المريض وصلة الأرحام وزيارة قبور من فقدناهم في الحياة الدّنيا من الأهل والأحباب والأصحاب، كلّها تدلّ على الصّفات الإيجابيّة التّي يتحلّى بها الشّخص المسلم.

2. 4. الأدب مع النّفس

وأدب الإنسان مع نفسه متنوّع متفاوت كذلك، فمن الأدب مع النّفس السعي إلى تزكيتها وإصلاحها ومحاسبتها وتدريبها على الطّاعات والأخلاق، ومن الأدب مع النّفس حثّها على التّوبة والإنابة والخشية وغيرها، وكذلك من الأدب مع النّفس تدريبها والزامها على الآداب الشّرعيّة. والأدب مع النّفس في شعر البرعي اتّجه عدّة اتّجاهات، منها:

2. 4. 1.التّعجيل بالتّوبة:

التّوبة كنز عظيم، وغنيمة نادرة، جعل الله تعالى فيها واسع رحمته وبشائر خيراته لعباده، حتّى يعلموا أنّ لهم ربّ يعفو عن الذّنب ويتجاوز عن الخطايا لمن تاب إليه والتجأ ببابه طالباً عفوه ورحمته. قال تعالى: (وهو الذي يقبل

التّوبة عن عباده ويعفو عن السّيّئات ويعلم ما تفعلون) (الشّورى، 25). وقال البرعي عن التّعجيل بالتّوبة: (البرعي 2015م، ص83)

عجّل بتصحيح المتاب مبادراً قبل الممات ولات حين مناص

فعلى الشّخص المبادرة بتعجيل التّوبة قبل مماته- ولا تحين مناص- أي ليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتّوبة، وقد حقّت كلمة العذاب عليهم، وتابوا حين لا تنفعهم التّوبة (القرطبي، 1964م، ص129).

2. 4. 2.مخالفة هوى النّفس ومحاسبتها:

بيّن الله تعالى لعباده أنّ طريق النّجاة من النّار والفوز بالجنّة إنّما يكون بمجاهدة النّفس ومخالفة هواها وعدم الانجرار وراء الرّغبات والشّهوات، فقال تعالى: (وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى* فإنّ الجنّة هي المأوى) (النّازعات، 40-41). ونجد البرعي يقول عن مخالفة هوى النفس: (البرعي 2015م، 71)

وخالف النّفس والشّيطان إنهما أعدى عدو سعى دهراً يمنيكا

واحذر هوى النّفس إنّ النّفس آمرٌ بالسوء وأحذر الشّيطان يغويكا

وهو يشير محذّراً لمخالفة هوى النّفس والشّيطان، وأنهما أعدى الأعداء للإنسان، فالنّفس أمارة بالسوء إلى ما رحم ربي، قال تعالى: (وما أبرّئ نفسي إن النّفس لأمّارة بالسّوء إلا ما رحم ربي). (يوسف، 53)، وكذلك الشّيطان الذي له مجموعة من الوسائل لغواية الإنسان، قال تعالى: (يا بني آدم لا يفتنّكم الشّيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما...) (الأعراف، 27)

أمّا محاسبة النفس في الإسلام هو "مفهوم يعني القيام بتصفية وتنقية النّفس البشريّة من ذنوبها ومعاصيها، حيث إنّه لا بد للشّخص العاقل أن يقوم بتخصيص وقتاً يومياً يقوم به بالاختلاء بنفسه ليحاسبها عمّا قدّمت في ذلك اليوم من أعمال أو من ذنوب" (الماوردي، 2003م، ص360-361). وقال البرعي عن محاسبة النّفس: (البرعي 2015م، ص100)

وحاسب النّفس ولتعلم تجارتها كم للتّجارة من ربح وخسران

وحساب النّفس يبيّن للمسلم حقيقة الرّبح والخسران، وهو دليل على صلاح الإنسان وعلى خوفه من الله والاستعداد للقائه؛ فغير الخائف من الله ليس عنده من الدّواعي ما يجعله يقف مع نفسه فيحاسبها ويعاتبها على تقصيرها.

2. 4. 3. اختيار الصّحبة الصّالحة والابتعاد عن صاحب السّوء:

لقد حذّر الإسلام المسلمين من سوء اختيار الصّحبة الصّالحة وبالذّات رفقاء السّوء، الذين يجاهرون بالمعاصي ويباشرون الفواحش دون أي وازع ديني ولا أخلاقي لما في صحبتهم من الدّاء، وما في مجالستهم من الوباء، وحثّ المسلم على اختيار الصّحبة الصّالحة والارتباط بأصدقاء الخير الذين إذا نسيت ذكّروك، وإذا ذكرت أعانوك. ومن هنا نجد البرعي قد رفع شعار اختيار الصّاحب الصّالح وتجنّب صاحب السّوء بقوله: (البرعي 2015م، ص96)

تجنب خليل السوء ما دمت واتّخذ خليلاً على الخيرات دلّ وعلّما

وقال في نصٍّ آخر: (البرعي 2015م، ص72)

أصحب خياراً وجالس بالأمانة من إليك أفضى بأسرارٍ يناجيكا

كن ناصحاً وأميناً غير ذي ريب من غشنا ليس منّا قول هاديكا

وهو يشير إلى اختيار الصّحبة الصّالحة التّي ينتفع بصحبتها ومجالستها في حفظ السّر والأمانة وتقديم النّصح من غير ظنٍّ وشكٍّ، (إنهم كانوا في شكٍّ مريب) (سبأ، 54). وكذلك من غير غش، (... من غشّنا فليس منّا) (مسلم، 1972، ص174).

وكذلك قوله: (البرعي 2015م، ص87)

شتّان بين جليس نافخ كيره هذا وبين مُجالس العطّار

هذا يصيب جليسه من طيبه ونقيضه يؤذي بحرق النّار

فشتّان ما بين الجليس الصّالح وجليس السّوء، وهنا اقتبس البرعي من قول رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: (إنّما مثل الجليس الصّالح وجليس السوء: كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يُحذِيَكَ، وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيّبةً، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، وإمّا أن تجد منه ريحاً منتنة) (البخاري، 2002م، ص35).

2. 4. 4.حفظ اللّسان:

حفظ اللّسان من الأخلاق الحميدة والصّفات الحسنة، والمقصود بحفظ اللّسان ألّا يتحدّث الإنسان إلّا بالخير، ويبتعد عن قبيح الكلام، والإنسان مسؤول عن كلّ لفظ يخرج من فمه، حيث يسجله الله ويحاسبه عليه. قال تعالى: (ما يلفظ من قول إلّا لديه رقب عتيد) (ق، 18)، وهو نعمة كبيرة النّفع والأثر إن سخرّ في جوانب الخير ومناحيه، وعظيم الخطر والضّرر، متى أضاع الإنسان رقابته عليه وأطلقه في كلّ شيء. قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...) (البخاري، 2002م، ص21). وقال البرعي في حفظ اللّسان: (البرعي 2015م، ص86)

واحفظ لسانك لا تجادل فهو لا يأتي بخير عند عبد أوتي

وتميت قلبك كثرة الضّحك الذي هو قاطع عن عالم اللاهوت

واعمل بجد حيث لا تمزح بلا حقّ وكن متّزيناً بسكوت

واغضض لصوتك إن نطقت مُبلّغاً للسّامعين وليس كالمبهوت

فعلى الشّخص أن يحفظ لسانه فلا يجادل إلّا في قول الخير، ولا يمازح إلّا في حق أو ليسكت. قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت) (البخاري، 2002م، ص70). ولا يضحك كثيراً فإن كثرة الضّحك تميت القلب. قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في إحدى وصاياه: (... ولا تكثر الضّحك، فإنّ كثرة الضّحك تميت القلب) (البيهقي، 1988م، ص134). وعليه أن يغضض صوته إذا نطق مبلغاً للسّامعين فلا يكون في نطقه كالمبهوت المتحيّر.

وفي ختام الأدب مع النّفس يوصي البرعي بأكل الحلال وصلاة الفرض والاستقامة، والعيش بالقناعة، وحفظ الوقت، وعدم اليأس، فقال عن أكل الحلال وصلاة الفرض والاستقامة: (البرعي 2015م، ص104)

وكل الحلال وصل فرضك واستقم أبداً وإنّك قانت أوّاه

وفي هذا البيت كانت وصيّته الأبديّة بأكل الحلال وصلاة الفرض والاستقامة بالطّاعة والمداومة عليها مع كثرة الدّعاء. وقال عن العيش بالقناعة: (البرعي 2015م، ص72)

وعش إذا جادت الأيّام مقتصداً واعلم بأنّ كثير المال يطغيكا

إنّ القناعة كنزٌ لا فناء له عليك بالكنز بعد الفقر يغنيكا

وهنا أن يكون العيش بالقناعة: وتعني الرّضا والتّسليم بما رزقه الله تعالى وقسّمه للإنسان ولو كان قليلاً، وتعني عدم اليأس عمّا في أيدي النّاس، وعدم التّطلع إلى الحرام في قليل أو كثير؛ لذلك هي كنز لا فناء له. وقال عن حفظ الوقت: (البرعي 2015م، ص86)

واحفظ لوقتك لا تضعه سفاهةً إلّا لذكرك أو لجمع القوت

فالوقت أنفس من شذور التّبرِ بل وأعزّ من درٍّ ومن ياقوت

يوصي بحفظ الوقت وعدم ضياعه في السّفه إلّا لذكرٍ أو جمعٍ لوقت؛ فالوقت أعظم قيمة من شذور الذّهب، بل أعزّ وأقيم من اللؤلؤ والياقوت. وقال عن عدم اليأس: (البرعي 2015م، ص78)

لا تيأس يا هذا على شيء مضى واصبر كما صبر النّبي جميلا

فهو ينهى عن عدم اليأس فيما مضى، ويحثّ في ذلك على الصّبر الذي هو أهمّ صفة يمكن أن يمتلكها الإنسان؛ لأنّه أكثر سلاح فعالية لمواجهة المواقف غير المتوقّعة في الحياة. قال الله تعالى: (فاصبر صبراً جميلاً) (المعارج، 5).

خاتمة

من هنا نستطيع أن نخلص إلى القول: إنّ الأدب مع الله تعالى هو القيام بدينه، والتّأدّب بآدابه ظاهراً وباطناً. والأدب مع رسوله- صلى الله عليه وسلم- هو التّسليم له، والانقياد لأمره، وتلقّي خبرِه بالقبول والتّصديق دون معارضته بالعقل أو الشّك. والأدب مع الخلق هو معاملتهم بما يليق بهم على اختلاف مراتبهم، فلكلّ مرتبة أدب، والمراتب فيها آداب خاصّة، فمع الوالدين أدب خاص، ومع النّاس أجمعين أدب. والأدب مع النّفس هو تدريبها والزامها على الآداب الشّرعيّة.

التّوصيات: توصي الدّراسة بمزيدٍ من الدّراسات في الآداب الإسلاميّة في الشّعر السّوداني.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- ابن حبّان: محمد بن حبّان، (1988م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان، (ط1، ج1، 2، 3، 12)، مؤسسة الرّسالة، بيروت.

3-ابن حمدويّة: أبو عبد الله،(1990م)، المستدرك على الصحيحين، (ط1،ج1)، دار الكتب العلمية، بيروت.
4- ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد، (2001م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ط1، ج13، 14، 15، 35، 36)، مؤسسة الرّسالة، القاهرة.
5- ابن القيّم الجوزية: محمد بن أبي بكر، (1973م)، مدارك السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، (ط2، ج2)، دار الكتاب العربي، بيروت.
6- ابن ماجة: أبو عبد الله بن يزيد، (1999م)، سنن ابن ماجة، (ط1، ج1)، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربيّة السّعوديّة.
7- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، (1993م)، لسان العرب، (ط3، ج12)، دار صادر، بيروت.
8- الألباني: محمد ناصر الدّين الألباني، (1999م)، سنن أبي داؤود، (ط4، ج1)، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسّنّة، الإسكندريّة.
9- البخاري:أبو عبد الله محمد، (2002م)،صحيح البخاري،(ط1،ج1،2،3،4)،دار الكتب العلمية، بيروت.
10- البرعي: عبد الرّحيم البرعي، (2015م)، ديوان رياض الجنّة ونور الدُّجُنّة، (ط6)، مركز الأسباط للإنتاج الإعلامي والنّشر، الخرطوم.
11- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، (1988م)، الآداب للبيهقي، (ط1)، مؤسسة الكتب الثّقافيّة، بيروت.
12- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، (1997م)، شعب الإيمان، (ط1، ج5)، دار الكتب العلمية، بيروت.
13- الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، (1985م)، الصّحاح في اللّغة، (ط3، ج1)، دار صادر، بيروت.
14- السّرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، (1970م)، المبسوط، (ط2، ج3)، دار الكتب العلميّة، بيروت.
15- العسقلاني: ابن حجر العسقلاني، (1978م)، الكافي الشافي، (ط3)، دار العلم للملايين، دمشق.
16- فولي: نبيل فولي محمد(2014م) التوحيد مكانته ومميزاته في العقيدة الإسلامية، (ط1، ج2) الجامعة الإسلامية العالمية، مجمع البحوث الإسلامية.
17- القرشي: إبراهيم القرشي، (2003م)، السّهل الممتنع خواطر وصور بلاغيّة في شعر البرعي الكردفاني، (ط1)، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، الرّياض.
18- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، (1964م)، الجامع لأحكام القرآن، (ط2، ج15)، دار الكتب المصريّة، القاهرة.
19- الماوردي: أبي الحسن الماوردي، (2003م)، أدب الدّين والدّنيا، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت.
20- مسلم: مسلم بن الحجّاج، (1972م)، صحيح مسلم، (ط1، ج1، 2، 6)، دار الكتب العلميّة، بيروت.
21- النّسائي: أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب، (1999م) سنن النّسائي، (ط4، ج1)، دار صادر، بيروت.